

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾  
سورة البقرة، ١٥٥/٢

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ"  
ابن ماجه، كتاب التجارات . ٥

### أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامِ،

إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ دَارَ رَاحَةٍ وَرَفَاهِيَةٍ فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ دَارُ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ، وَهِيَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ امْتِحَانٌ لِلصَّبْرِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ وَالْعِبَادَةِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَبْتَلِينَا تَارَةً بِالنِّعَمِ وَالسَّعَةِ وَتَارَةً أُخْرَى بِالضِّيقِ وَالثَّدْيَةِ. كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ مِنْ نِعَمٍ لَيْسَ حَقًّا ثَابِتًا لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ لَيْسَتْ بَاقِيَةً. وَمَنْ يُدْرِكُ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى تَحْمُلِ ابْتِلَاءَاتِ صَابِرًا دُونَ اعْتِرَاضٍ وَجَزَعٍ.

### إِخْوَتِي الْأَعْرَاءِ،

لقد ابتليت أمم كثيرة عبر التاريخ بالازمات الاقتصادية وضيق المعيشة. وفي يومنا هذا يشهد العالم أشكالاً متعددة من الحروب، ونقص في الغذاء، وعدم الاستقرار الاقتصادي. لكن المؤمن الواعي يدرك أن الله وحده هو الرازق فيتوكل عليه ويطمئن قلبه. فقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة التي تبعث في النفس الطمأنينة والثقة بالله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وَقَدْ أَرْشَدَنَا نَبِيُّنَا ﷺ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ» فَأَلْمُؤْمِنُ يُوقِنُ أَنَّ رِزْقَهُ مُقَدَّرٌ لَهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَفُوتَهُ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ، وَلِذَلِكَ لَا يَلْجَأُ إِلَى الْحَرَامِ وَلَا يَسْتَلِكُ الطَّرِيقَ الْمُحَرَّمَةَ طَلَبًا لِلرِّزْقِ. وَعَلَى الْمُؤْمِنِ الْأَلَّا يَعْمَلَ عَنِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ وَالتَّذْيِيرِ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَيَتَجَنَّبُ الْإِسْرَافَ وَالتَّذْيِيرَ، وَلَا سِيَّما فِي يَوْمِنَا هَذَا الَّذِي انْتَشَرَتْ فِيهِ تَقَاةُ الاستهلاكِ الْمُفْرِطِ. فَأَلْمُسْلِمُ يَجِبُ أَنْ يَسْتَعِدِمَ النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بِحِكْمَةٍ،

وَيُحَافِظُ عَلَى التَّوَازُنِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالْإِسْرَافِ. وَبِهَذَا يَقْدِرُ النِّعَمَ وَيَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَعْطَاهُ هَذِهِ النِّعَمَ، وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعَمَةِ مِنْ أَفْضَلِ الطَّرِيقِ لِلتَّنَبُّاتِ وَفَتْ الْإِبْتِلَاءِ. وَفِي سُورَةِ يُوسُفَ أَرْوَعُ الْأَمْثَلَةِ فِي ذَلِكَ، حَيْثُ تَجَلَّتْ فِيهَا مَعَانِي التَّخَطُّبِ، وَحُسْنِ التَّذْيِيرِ، وَالْإِدْخَارِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَتَجَنُّبِ الْإِسْرَافِ.

### أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْضَالِ،

يُحَدِّثُنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنَ الْأَفْكَارِ الَّتِي تُثِيرُ الْخَوْفَ مِنَ الْفَقْرِ وَضِيقِ الرِّزْقِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَلِمَةُ الْفَقْرِ تُشِيرُ إِلَى الْخَوْفِ مِنْ أَنْ يَنْقُصَ الْمَالُ بِسَبَبِ الصَّدَقَةِ، لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فِي الْخَيْرِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَلَنَنْدَكُرُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْكِرَامَ قَدْ مَرُّوا بِظُرُوفٍ اقْتِصَادِيَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَسْلِمُوا لِلْخَوْفِ، بَلْ ازْدَادُوا تَعَاوُنًا وَتَكَافُلًا فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ مَوْفِقَ الْمُؤْمِنِ فِي أَوْقَاتِ الْأَزْمَاتِ لَيْسَ الْاِسْتِسْلَامُ لِلْخَوْفِ مِنَ الْفَقْرِ، وَإِنَّمَا الْإِقْبَالُ عَلَى الْبَدْلِ وَالْإِحْسَانِ امْتِثَالًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ...» وَلِذَلِكَ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ يَجِبُ أَنْ نَدْخَرَ فِي أَوْقَاتِ الثَّدْيَةِ وَالْأَزْمَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ. تَتَجَنَّبُ الْإِسْرَافَ وَالتَّذْيِيرَ، لَكِنَّ لَا تُتْرَكُ الْجُودَ وَالْكَرَمَ، وَنَحْرُصُ عَلَى إِتْقَانِنَا وَلَا نَنْسَى الْفُقَرَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ، نَهْتَمُّ بِأَنْفُسِنَا وَعَائِلَتِنَا لَكِنَّ لَا نَعْمَلُ عَنْ إِخْوَتِنَا الْمُسْلِمِينَ الْمَظْلُومِينَ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ شَمِلَتْهُمْ رَحْمَتُهُ وَفَضْلُهُ، وَأَنْ يَزِدَّنَا حُسْنَ التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَأَنْ يُعِيدَنَا مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

